ثورة العرب

مساعيهم لتأسيس ملك عربي

لانيس الفرسي
استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

حدث في اثناء الحرب الكبرى حادثان كبيران كان لهما اثر عميق في نفسية العرب وبالتالي في شعرهم ، هما اعدام الشهداء ، والثورة الحجازية . ولسنا في مقام البحث عن الاسباب التي أدت الى كليهما وانما نحن نؤرخ الواقع وأثره في ادبنا العربي الحديث

ومن المعلوم ان الدولة العثمانية لم تكن قبل الحرب عمياء عن الحركات القومية العربية فأخذت تبث عيونها في كل ناحية لتلم بكل شيء من امرها . ولم تكن في اول الامر تظهر القسوة والشدة كما يستدل من مفاوضاتها لزعماء الحركة الاصلاحية الذين اجتمعوا في باريس برئاسة عبد الحميد الزهراوي [1] . على انها كظمت مافي نفسها خوفاً من تدخل الاجانب . جعلت تتحين الفرص السانحة

فلما اشتعلت نيران الحرب العامة والغيت الامتيازات الاجنبية اسرعت الدولة الى تفتيش القنصليات المعادية فوقع في يديها بعض الوثائق السرية ربما تمكنت ان تستفيد منها لتدمير الجمعيات العربية [2] وحينئذ شمرت عن ساعد الجد فقبضت على جماعة من الزعماء وتمكن بعضهم من الفرار الى اوربا ومصر

وأحيلت الاوراق الى الديوان الحربي لحكم على نخبة من اعيان الوطنيين بالقرب من الحكم في ٦ ايار (مايو) سنة ١٩١٥ في دمشق وبيروت . وحكم بالاعدام غيابياً على نحو ستين من الوجهاء ، فضلاً عمن عرفوا بالنفي او بالسجن [3]

---

(١) راجع صورة الاتفاق بين الطرفين في المنار ١٦ — ٦٣٩ (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب الثورة العربية لاميل سعيد ١ — ٦٦ (٣) راجع اسماء الشهداء والمحكوم عليهم غيابياً في كتاب الصحائف الذي اصدره جمال باشا وكتاب الثورة العربية الجزء الاول

ومن الصعب الآن ان يصف كاتب ما خالج قلوب انسكان يومئذٍ من الهلع والتقمة . وها نحن نعيد ذكرى تلك الايام المؤلمة فيعود الى نفوسنا ما كنا نشعر به من الضغط والرهبة — شعور غريب كان يخيم على البلاد حتى لم يكن احد يجسر على التكلم او البحث في الشؤون السياسية. او اظهار الاسف على شهداء العربية

على ان ذلك الضغط التركي الرهيب لم يخلُ من فائدة اجتماعية فقد كان من اسباب التقارب بين الطوائف . وذلك لارتباطهم بشعور عام انهم عنصر مظلوم وأثر ذلك بيّن في الشعر العربي لذلك العهد

والى ذلك الضغط وذلك الشعور الاليم بالظلم يرجع السبب في توسيع شقة الخلاف بين العنصرين التركي والعربي ، وبالتالي الى تسهيل مهمة الحلفاء في سوريا والعراق ، ثم الترحيب بهم يوم تمكنوا من الفوز على تركيا وفصل الاقطار العربية عنها . ومما يمكن لنا هذه الحال قصيدة لرضا الشبيبي نظمها على أثر طرد الاتراك من العراق وهي تحمل لنا أسفهُ بل أسف العثمانيين في العراق لسوء السياسة التركية التي أدّت الى التفرقة بين عنصري الدولة الكبيرين . وفيها يقول : (١)

يامن يعزّ علينا انْ نؤنّبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعذلُ
جفوتمونا وقلتم نحن سادتكم ... وكلّ سيّدِ قومٍ مطبّها الاخفاق والفشلُ
تأبى الحوادث الاّ ان تعلّمكم ... ولا ودين التآخي ما بنا ملَلُ
أما صفحنا عن الماضي لأعينكم ... أما أديلت لكم أيامنا الاوَلُ

ومنها مشيراً الى حكومة الاتحاديين وسوء إدارتهم : —

فيضمّ لحفاظ الملك طائفة ... لغيرها الملك والاجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل أريهمُ ... وحظ قوم سوانا الاريُ والعسل
عند المغانم تفسونا ويقدحنا ... من المغارم ثقلٌ ليس يحتمل
أين الزهير بأموالٍ لنا ذهبت ... ومن يقيدُ باخوانٍ لنا قُتلوا
إما شهيدٌ معلّى فوق شاهقةٍ ... او موثق بحبال الاسر معتقل

فالشاعر هنا يعيد ذكريات الحرب وما قبلها ويعزو الى الاتحاديين ما أصاب البلاد من شقاء. وما نجم من خلاف أدى الى إبعاد قواها ووقوعها في يد الاعداء

***

ومن البديهي ان الشعر العربي في الاقطار العثمانية لم يستطع اثناء الحرب ان يبكي الشهداء كما كان يود . فما وضعت الحرب اوزارها وخرجت سوريا والعراق والحجاز من المنطقة العثمانية عاد الشعراء الى ذكريات شهدائهم وصاروا يعددون مآثرهم . وقد رفعهم الشعر الى مصاف

(١) راجع كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » للحسني ص ٥٥

الابطال فافتن في نعتهم وتقريظهم أحد الشعراء كما فعل الزهاوي في قصيدته « الثائرة » وهي تقارب المائة والستين بيتاً ولا نخرج اذا حكيناها « بسكة الشهداء » . ففيها يصف المشانق وقبور القتلى وأعلامهم ، ويذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً باكياً شبابهم طالباً الثأر لهم . ثم يذكر ما أصاب الثائرين من نفي وتشتيت ويعقب بذكر الثورة ودخول العرب دمشق وختمها بذم جمال باشا ، والتفاؤل بعهد زاهر يمحي الدهر ماضي الآلام : واليك بعض أبياتها :—[1]

على كلّ عود صاحبٌ وخليلُ وفي كل بيتٍ رنّة وعويلُ
علاها وما غير الحيّة سلّمٌ « شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ »
لقد ركبوا كور المنايا بهمّم الى الموت من وادي الحياة رحيلُ
رجالٌ عليهم من سنا الفضل رونقٌ وللمجد فيهم غرّةٌ وحجولُ
مضوا في سبيل المجد يحدوهم الهدى وللحق بين العالمين سبيلُ

***

قبورٌ ببيروت وأخرى بحلبٍ تُجرّ عليها الريح ذيولُ
سرت روحهم تطوي السماء لربها وما غير ضوء الفرقدين دليلُ

وبعد ان يذكر الشهداء ويعدد أسماءهم وصفاتهم يقول : —

بني يعربٍ لا تأمنوا الترك بعدها بني يعربٍ ان الذئاب تصولُ
وان تسكن الايام عن حصبة جنرا ولكن بما كالوا لهم ستكيلُ
وقد سلبوا حرية الناس مذ غزوا وتلك مرادٌ للحياة وسُولُ
وصبّوا دماء من شعوب بريئةٍ فاحضنّ رهطاً بها وتقولُ

ومنها مخاطباً جمال باشا : —

جمالُ لأنت القبح تحوك ضمه وثوبك اذ أرخاه فيه ذليلُ
تُريد لمجد الشرق وهو أثيمةٌ وهيهات ما مجد الدنيء يزولُ
روبدك لا تغترّ بالدهر ان صفا ولا تأمن الايام فهي تدولُ
ورائك لا تترب رواسي يعربٍ فتقرب رواسيها عليك ويلُ

***

ولخير الدين الزركلي قصيدة نظمت (٥ سنة في ديوانه) على اثر اعدام الترك فريقاً من

(١) راجعها في ديوانه « وفي الادب العصري لبطي » ١ — ١٨

شبان العرب بسورية وتيام الثورة بالحجاز ، ومنها في الشهداء —(١)

فمي نادب العُرب شبّانها يجدّد بالنعي احزانها
بكى كلّ ذي عزّة تربه فهاج نزاراً وعدنانها
فمن للمدامع ان لا تفيـ ـضَ وترسلَ كالسيل هتّانها
فجائعُ هنّ حديث القلوب وهيهات تسطيع سلوانها
ومنها : فأبكي على غرر المسلمين أباة الذلّة قرآنيها
وابكي على آل عيسى المسيح ثمّ العرانين صلبانها
لغتْ لغة العُرب من احكموا لسان قريش وتبيانها
وناحتْ على من بنوا عزّها واعلوا بما اثّلوا شانها

وهناك قصائد اخر هذين الشاعرين فلتراجع في مظانها

٭٭٭

وكما نسمع بكاء الابطال في الوطن نسمعهُ في المهاجر . فان المهاجرين لم يكونوا يوماً اقلّ حماسةً من اخوانهم المقيمين . والذي يقرأ دواوين ابي الفضل الوليد ، والشاعر القروي ، وفرحات ، والحرّ ، وصوايا وسواهم يرى من أنفاد الروية ما قد لا يراه في البلاد العربية نفسها. واليك انموذجاً من شعر المهجر في الشهداء وهو من قصيدة موضوعها « لبحي العرب »(٢)

بلادَ الشام غادرك الكرامُ فعيش الحرّ فيك اذن حرامُ
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتزّ في القمد الحسامُ

ومنها مشيراً الى السفاكين حاضّاً العرب على الثورة —

وحتّام المخافة من علوج لهم ذمٌّ وليس لهم ذمامُ
يرون محبة الاوطان جرماً بهِ يهوي من الاحرار هامُ
لقد تتلوا العواطف والمزايا ففي احشائنا منها سهامُ
أبقى ساكنين بلا حراكٍ وللثورات حولينا اضطرامُ

ثم يخاطب الشهداء ويصف مجدهم لدى الموت

أيا صحبي الكرام الا فداكم لثامٌ بعد ما نلّ الكرامُ
مشيتم باسلين الى المنايا وكان لكم عن النطع ابتسامُ

(١) ديوانه (١٩٢٥ ٦٥ (٢) ديوان الاساس المنتهية (الوليد) ٧٢

ليحيَ العرب قد صحتم ومتم نصبحتكم لحطتكم دوامُ
نحن لدى بسالتكم حيارى وأنتم فوق ذلتنا عظامُ
على أعواد مرقبة رفعتم منارات بها يهدى الانامُ
وكنتم قدوة للشعب مثلى فهل يُرجى له يوماً قيامُ

ويتضح من هذا الى مخاطبة ارواحهم ثم يختم قوله بالحكمة التالية —

ورب ضحية أحييتُ شعباً فكان لها العتاق واقتحامُ
على البلوى اخو صبر جميلٌ لنا آمالنا ولك السلام

والوليد على هذا النسق عدّة قصائد عربية الروح كهدى الاحياء، والصرخة الكبرى والدولة العربية وسواها. ومثل ذلك للشاعر القروي. ومن اقواله في الشهداء قصيدة مطلعها[1]

خير للطالع تسليم على الشهدا ازكى الصلاة على ارواحهم ابدا
فلنحن الهام اجلالاً وتكرمةً لكلّ حرعن الاوطان مات فدى
يا انجم الوطن الزهر التي سطعت في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجاني ملطخة فتندست بكم الاعواد والمشدا
بل علقوكم بصدر الافق اوسعة منها الثريا تلظى صدرها حسدا
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

والقصيدة كلها — كاكثر شعر القروي — غيرة وطنية متقدة، واذكاء لنار الحمية القومية في صدور الشبيبة العربية. وقد اتخذ الوطنيون في سوريا ولبنان يوم ٦ ايار (مايو) عيداً تذكاريًّا عامًّا. ففي بيروت كما في دمشق يقيمون كل عام مهرجاناً حافلاً يلقون فيه الخطب والقصائد ذاكرين ابطال الوطنيين الذين ضحى بهم على مذبح السياسة والقومية ولو جمع كل ما قيل فيهم منذ انتهاء الحرب الكبرى الى الآن لملأ مجلداً ضخماً. فنقف هنا عند حد الاشارة اليها

***

اما (الثورة الحجازية او العربية) فقد اعلنت في مكة سنة ١٩١٦. والذي يطالع ما نشر من الكتب والرسائل عنها (عربي وغير عربي) يصل الى النتائج التالية —

١ — ان الشعور العربي القومي الذي شهدناه يتأجج عقب اعلان الدستور حتى توصل الى المطالبة باللامركزية حتى في اول الحرب، ولكنه لم يلبث ان تحول الى كراهة الترك ورغبة في التخلص منهم لضغط الاتحاديين في اثناء الحرب

(١) راجع قصيدة الاعاصير ص ٥٥

٢ — ان العلاقة بين الاستانة ومكة كانت على شيء من التوتر وقد زادها توتراً اتصال شريف مكة بالجمعيات العربية

٣ — ان الحلفاء وأخصهم بريطانيا تمكنوا من اجتذاب الشريف حسين بن علي اليهم بوعود خلابة منها انهم يساعدونه على استقلال العرب وتأسيس مملكة عربية

٤ — وبناء على هذه الوعود اعلن الحسين الثورة على الاتحاديين فاشترك العرب فعلاً في الحرب الكبرى

وقد كان لهذه الثورة في البلدان العربية (ما عدا مصر) نتائج معنوية خطيرة اهمها انها اذكت في نفوس الناس العصبية الجنسية ، ووضعت في ايديهم سلاحاً فعالاً للمطالبة باعادة مجدهم الذي

فأصبح الملك حسين في الادب العربي (في سوريا والعراق) بطل العرب والمطالب الاكبر بحقوقهم . واذا لفت النظر هنا الى منشور الثورة [1] الذي اذاعه باسطاً فيه الاسباب التي حفزته الى مقاتلة الاتحاديين ومنها اضطهادهم للغة العربية ، وتقلهم لكثيرين من نوابغ النهضة القومية وما قاموا به في البلاد العربية من نفي أسر وافراد ومصادرة اموال ومتاجر ، وغير ذلك من الاعمال المنكرة

وقد اشترك في هذه الثورة عدد غير قليل من السوريين والعراقيين ، وبينهم نخبة من ضباط الجيش التركي سابقاً . ولا بدع فقد اعلن الشريف « انها عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقوميه » [2]

ولاشك أن الاتراك بذلوا جهدهم لاخماد الثورة . وقد استطاعوا في اثناء الحرب ان يكمّوا افواه الناس في سوريا والعراق عن نشر اخبارها . بل أن يحملوهم على التشيع بها . على انها كانت في الحجاز قوة فعّالة . وكان للادب نصيب كبير فيها ومن حامي لوائه شاعر الثورة فؤاد الخطيب فقد ارخت اليه بكثير من الشعر الحماسي . كقوله من قصيدة حيّى بها استقلال العرب ونهضة الحسين ومطلعها [3] —

حيّ الشريف وحيّ البيت والحرما ... وانهض فذلك يرعى العهد والذمما

يا صاحب الهمّة القعساء انت لها ... ان كان غيرك يرضى الأين والسأما

ومنها مخاطباً الاتحاديين —

يا آل جنكيز ان تثقل مظالمكم ... على الشرق فقد كانت لهم قدما

---

(١) راجع المنشور في الثورة العربية (لنجيب سميد) — ١١١ وفي كتاب الوثائق والمشاهدات لجريدة الأيام الدمشقية ص ٢٦

(٢) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦) ٢٣١ (٣) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦) ٢٤١

فالظلم يقظ منهم كل ذي سِنَةٍ ما كان يهض لولا انه ظُلِما

ومنها يشير الى اشتعال الثورة في الحجاز —

فمن يكن عن أباة الضيم في صممٍ فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصما
فقد تكلم صوتُ النار مرتفعاً من الحجاز فشقَّ اليد والأكما
يا ابن النبي وانت اليوم ناصره قد عاد متصلاً ما كان منفصما
والفَّ حولك أبطالٌ غطارفة ثمُّ الانوف يرون الموت مُغتَنَما
قاصدمْ بهم حدثان الدهر معترضاً صُدًّا من الترك ان تمرض له أنهدما

ثم يلتفت الى العرب مستفزًّا حميتهم ومذكراً اياهم بمجد الغابر

إيه بني العرب الاحرار ان لكم فخراً أطلَّ على الاكوان مبتسما
من ذلك البيت ، من تلك البطاح ، على تلك الطريق مشت أجدادكم قدماً
من كل أروعَ وثّابٍ اذا انتسبتْ يبض الصوارم كان الصارم الخذما
لستم بنيهم ان لستم من سلالتهم ان لم يكن سميكم من سميهم اسما
الى الشآم ، الى أرض العراق ، الى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

ومثل الخطيب خير الدين الزركلي . ومن فتاته في هذا الباب قوله سنة ١٩١٨ من قصيدة عنوانها العرب والترك يصف فيها فظائع الاتراك [1] —

عثا أحفاد جنكيز فساقوا سلاسل بعربيٍ سوق العبيد
فكم قتلوا من الاخيار صبراً وكم ساموا المهانة من عميدِ
وكم عسفوا على الاعواد ظلماً وكم سقَوُا المنيَّة من شهيدِ

ثم يشير الى الثورة فيقول : —

الى أمّ القرى عدتِ المذاكي وفي أمّ القرى خفقُ البنود
يرفُّ في الحجاز ويطمئن وهناً فكان بجلّق قصف الرعود

ويقول من قصيدته « الشهداء » وقد مرَّ ذكرها : —

أبى نسب الأُلى اقتسماً لها وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشمٍ في الحجاز وأنطق في الترب حسّانها
كتائب هبت تابي الدعاة وتطوي القفار وكثبانها
برحم يرنّ وعضبٍ يئن يُنبّه في الترك وسنانها
هو الثأر أدركه الثائرون أشجى فروقاً وأطغانها

(١) ديوانه ٨٣

وقصائد هذين الشاعرين نموذج لما نظم في الثورة والقائمين بها

وما تراه في الوطن تراه في المهجر فقد حركت الثورة هناك الشعر العربي فأجاد شعراؤه في وصفها وتمجيد حسناتها ، وتمجيد من أوقدوها ، كقول رشيد أيوب (١) —

من أقاصي الروم نهديك السلام مع نسيم السحر
يا شريفاً كلما ناح الحمام فوق غصن الشجر

صاحب السيف الصقيل المستطاب في دياجي المحن
انت من قوم لهم تنو الرقاب من قديم الزمن

خضتها حرباً على الباغي تدور بكماة أشد
وتركت الترك اصحاب الفجور عبرة للناظرين

فأدر ايها الساقي الكؤوس جاء وقت الطرب
واسقنا من خمرة تجلو النفوس من ظلام الكرب

واصغ للبلبل ان لاح الصباح صاح فوق القضب
فلتعش تغرّ في تلك البطاح دولة العرب

وهذا الشاعر من مهاجري السوريين في الولايات المتحدة وهم عموماً أقل تأثراً بالحركة العربية من مهاجري أميركا الجنوبية كما يشهد بذلك شعرهم المنثور في الدواوين والصحف وقد ألممنا وسنلمّ أيضاً بشيء من أقوال هؤلاء « الجنوبيين » الذين كان لهم مآثر في إضرام الروح العربية وحفظ الصلة القومية بين أبناء العرب في تلك الاصقاع

ولما انسحبت الجيوش التركية من الاصقاع العربية ودخل العرب دمشق في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ أخذت الشعر نشوة الظفر حتى كنت تراه في الدوريات والتدمس وصفو الخواطر تتدفق الخواطر تدفق الجداول السيول كقول الياس زخور (٢) —

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق برغم العدى والزعجات الصواعق
غداة انتضى العضب المهنّد بيصل كل كميّ رابط الجأش صاعق
نصرك يا عرب الكرام يهولها صليل المواضي او دويّ البنادق
ولا راعها ما جرعت من مرائر وقد لعبت قدماً حيال الحقائق

(١) الايوبيات ٦٩ (٢) ديوانه حماسيات ٤٧

وقول الزهاوي من قصيدته النائحة (وقد مرَّ ذكرها) —

وجاءت خيول الحرب تعدو وراءها بتقريبة للانكليز خيولُ
هنالك اهل الشام صاحوا وكبّروا وكبر اعلامٌ بها وسهول
وكان لاخذ الثأر قد ثار ضيغمٌ له في مثار النائبين شبـــول
اغر كريم الاصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطاب اصولُ

وقول امين ناصر الدين في «الاطام» من قصيدة موضوعها يوم الصلح : —

فيالك يوماً فيه وثق الورى عرى الصلح رهط صادق العزم حازمُ
فنيلت حقوق واستقلت ممالك وأنصف مظلوم وحوزي ظالمُ
نهضت بهم من وهدة اليأس همةٌ فعيشهم غضّ الجوانب ناعمُ
طلعت عليهم والوجوه عوابس ولم تمض الاّ والثغور بواسمُ

وقول اسعد خليل داغر من قصيدته «تاريخ الحرب الكبرى» في فتح سوريا :—

بشراك سورية العزيزة فافرحي وتهالي بخلاص شعبك واطربي
فالله سؤلك قد اجاب فبالغي ما شئت في حمد الاله واطنبي
وعلى الاُلى نجوك آيات الثنا صوغي وعن قدر الصنيعة أعربي
اني لتفقك العظيم لشاكرٌ وبنصرهم هذا لاكبر معجب

وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ احتفل العرب احتفالاً باهراً برفع العَلَم العربي في المكان الذي شنق فيه شهداؤهم ، فكان لرفعه هزّة ادبية عظيمة وهي تتجلّى في عشرات القصائد والخطب التي جاشت بها خواطر الادباء من جميع المذاهب . واليك منها هذه القطعة الحماسية وهي من خمس للشيخ مصطفى اللايثي (١)

رايةَ العُرْب رايةَ المدنية رايةَ المجد رايةَ الحرية
انت مهوى آمالنا الوطنية ومنارٌ يهدي السبيلَ السوية

دمت فينا مدى الزمان عليّه

بك نحمي الحمى المقدّس ونجني ثمرات نحيي القلوبَ وتُغني
ونرجّي الحياة في روض امنٍ وارفٍ ظلّه خصيب أغنّ

في حمى دولة العلم العربية

(١) راجع قصيدته «نشيد الحرية» في ديوانه

ومن هذه الحماسيات قول شاعر مسيحي من موشح[١]

ايها الابطال حيوا العلما ... واحموه
والصبوه فوق اسوار الحمى ... واحرسوه
كن لقومي رمز مجدوعلاه ... في الامم
وتوّج ذلك الشعب فداه ... يا علم

ويعكس شعور المهاجرين قول ابي الفضل الوليد من قصيدة موضوعها نشيد العلم[٢]

العُرب حولك جندٌ ايها العَلَم ... منهم تألفت الاوطار والهمم
من خضرةٍ وبياض لمة وهدى ... وحمرة وسواد نقمة ودمُ
الوانك استكملت امجاد عنصرهم ... فيها تلاقى النجى والبأس والكرم
اليك ترنو وفي اجفانها عبرٌ ... وفي القلوب شعور دائب يحتدم
من الحجاز الى ارض الشآم الى ... ارض العراق لك الآفاق تبتسم
اذا طلعت تطلّعنا الى شرف ... وعزة فاطأنّت حولنا الامم

وقس على هذه الامثلة القليلة ما لو أثبتناه لما وسعته عشرات الصفحات.

***

كان الحزب العربي يأمل تأليف سلطنة عربية تضم الشام والعراق والحجاز وسائر الجزيرة العربية تحت العَلَم الهاشمي. فتكون هذه الاقطار امارات مستقلة في ادارتها الداخلية ولكنها مرتبطة بعرش واحد يجلس عليه الحسين وأولاده من بعده. وكان هذا الحزب يوالي دولة بريطانيا العظمى ويعتبرها سنداً للدولة العربية وحليفة لها على طوارئ الزمن.

فلما انقضى العام الاول على تأسيس حكومتهم في دمشق ظهر لهم ان قيامهم بوعود الحلفاء لم تكن قائمة على أسّ ركين؛ وان الاعيب السياسة الاستعمارية لا يؤمن شرها، فأخذ التشاؤم يتسرب الى نفوسهم. وبعد أن كانوا بالأمس يعتقدون طربا لذكر الثورة والعَلَم العربي والسيادة القومية، وقفوا يتهامسون بما سيؤول اليه أمرهم. وطبيعي في مثل تلك الحال أن يمس زهرة شعورهم القومي شيء من الذبول — منحة من الشعور الاعظم. ومن ذلك قول الزركلي سنة ١٩١٩ من قصيدة له مطلعها:—[٣]

فيمَ الونى وديار الشآم تُقتَسَم ... أين الهمود التي لم تثرها الذمم

---

(١) جليم دموس — ديوانه — ٣٠٧ (٢) الاعلام الشرقية ١٠٢٠ (٣) ديوانه ٥٥

وهي أكثر من أربعين بيتاً ، وقد بصل فيها شعوره الى درجة الثورة على الظلم فيقول متوعداً —

أيّة بسام ظلمت وطني وأبنت عشه بالغيث منسجم
لئن تولّوا رعينا حسن ودّهم وصيّرونا ومنهم في المروق دمُ

وأشد من ذلك قول الغلاييني في دمشق سنة ١٩٢٠ — (١)

هبّوا لنجدتكم أمست على خطرٍ جارت عليها الأعادي جور مُنتقمِ
حتى تسيل ربوع الشام مُفعمةً دماً يسيل الردى في سيله العَرِمِ
وذمة العُرب والايام شاهدةٌ لنضرمنّ الوغى في السهل والظُّلمِ
حتى يخلّوا بلاد العُرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجمِ

ولم يكن شعراء المهجر أقلّ من شعراء الوطن شعوراً بمكائد الاستعمار وخوفاً من ضياع الآمال . ففي الحفلة الكبرى التي احياها الحزب الوطني السوري في بوسطن ابرس سنة ١٩٢٠ احتفالاً بتسلم فيصل عرش سوريا القى الدكتور جورج صوايا قصيدة حماسية قال فيها مخاطباً الامة العربية (٢) —

يا امتي جاهري بالحق لا تجمي ونازعي الخلق بفيا مجدك الهرم

ومنها مشيراً الى فيصل والعَلَم العربي —

قد قام فينا صلاح الدين يحزمهم فليفخم الشام من قد قال لم يقم
ففيصل العُرب سيفٌ باحثوا في حده الحدّ بين الذل والشمم
يا ايها الشعب دافع عن كيانك لا تحيينّ وذدْ بالقنا عن مجد ذا العلم

وقد حملت الحماسة شاعراً كبيراً من شعراء المهجر ان يطلب من وطنه لبنان الانضمام الى الدولة العربية في سوريا واليك بعض قوله في ذلك (٣)

فانْ لم ترضَ بالعُرب اتّصالاً فلا تجعل جزاء الخير شرا
ولا تطلب لاوربا انتصاراً على الشعب الذي ولاّك نصرا

ويقول مخاطباً فيصل —

أفيصل انّ للمطامع مخلباتٌ بنا وبحوادث الايام تُرى
فلا تترك لذي طمع علينا يداً تخفي وراء الطلو مرا

ثم يتطرق الى ذكر الاحزاب واختلافها والى آمال الوطنيين الاحرار فيقول متوعداً —

وان تفشل ويفشى الشام ضيمٌ جعلنا الشام للافرنج قبرا

(١) ديوانه ٦٦ (٢) ديوان همس الشاعر ص ١٠٥ (٣) الياس فرحات — راجع مجلة الاصلاح (بوسطن ابرس) ج ٤ عدد ٨

ولهذا الشاعر الوطني كثير مثل ذلك

ومن يراجع الشعر العربي السياسي في السنتين الثانيتين للحرب (١٩٩١ و ١٩٢٢) يجده واحداً في جميع الأوساط السورية والعراقية — بعد عن سياسة الدول في الشرق ودعوة الى الجهاد في سبيل الاستقلال والمحافظة على كرامة العالم العربي . ولعل اهم ما اثار النفوس في ذلك الوقت واقعة ميسلون وما كان من بسط الانتداب على البلاد السورية — ثم الثورة العراقية والهابها العصبية القومية على ضفاف الرافدين (وسنذكر لي باب خاص)

اما مصر فكانت مشغولة باحوالها الخاصة — كان شعرها السياسي منصرفاً الى محاربة الاحتلال ، وتوجيه نظر الأمة الى الاستقلال . ورغم ... كنا نراه يومئذ لبعض شعراء المصريين من العطف على القطرين الشقيقين (سوريا والعراق) لا يسعنا الا ان نقول ان الرأي الادبي العام في وادي النيل لم يكن عربي النزعة — بل نذهب الى ابعد من هذا فنقول انه كان دائماً ثورة الحسين على الخلافة العثمانية ، تلك الثورة التي انتهت بانتصار الحلفاء وتعزيز الاحتلال (عندئذ) في مصر . ولهذا وقف الشعر المصري ازاء القضية العربية وقفة المعرض ناقضاً يده من كل ما له علاقة سياسية أو قومية بسائر البلدان العربية

ويؤيد قولنا هذا ما صرّح به مصري صميم [1] اذ قال في حفلة تكريم الوفد العراقي سنة ١٩٣٦ مشيراً الى هذا الموقف والى تحوّل الشعور المصري [2] —

« منذ عشرين سنة أو نحوها كان اكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ذكرها في شيء من الموجدة يشبه الالحاد » . وبعد أن يذكر أن نظرهم الى الاقطار العربية لم يكن يختلف عن نظرهم الى أي قطر شرقي — كاليابان او الصين مثلاً — يقول — « تلك المرحلة الاولى كانت مرحلة الوسواس والشكوك . فلما قامت الحرب وراكمت على الاخوات المتفاوتات استيقظت روح الايمان من سباتها العميق فاخذت الاسماء والاقلام العربية تذكر ذكرت السورية والام الشقيقات ذكرتها مصحوبة بشعور من الاخاء لم يكن غير مرفور »

***

وقد كان الشعراء في سوريا والعراق حتى في « مرحلة التكرار والوسواس » التي يشير اليها الاستاذ دياب عطف على القضية المصرية . على ان تحول الشعور المصري الاخير نحو الشقيقات العربية قد زادهم حماسة واهتماماً وسنرى بعد قليل يظهر والام لوطنهم المصري [3] هو جهادهم

(١) هو توفيق دياب مقتبس جريدة الجهاد (٢) راجع خطابه في صوت الاحرار عدد ٧٦٢